Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتأمل في النور الشاحب صورته طفلاً وصور شقيقاته وإخوته وكلهم يكبرونه سناً وبينهم من قتل الآخر في الحرب وكانوا في الصورة متعانقين (إنها صور أسرة قابيل وهابيل. . الغرفة غارقة في ضوء رمادي بين الأسود والأبيض كالفجر أو الغروب وقلبي غارق في الإضاءة ذاتها.

إذن هذه صورتي طفلاً وأنا في السابعة من عمري. في وجهي نظرة اعتزاز لا تبدو في عيون شقيقاتي ربما لأنني صبي في أسرة تحب الصبيان أو لأنني كنت أحدس أنني سأبقى الصبي الوحيد بعد مصرع بقية «المقاتلين» من اخوتي. . . الصبي الأصغر الذي تخصُّه الخالات والعمّات ونساء الأسرة بالدلال). .

للمرة الأولى يهدر عبد الرزاق وقته في التحديق في الغرفة بحنين كمن يودع لحظة هاربة تتلاشى في الضوء المغبر تدريجياً.

(كانت هذه الصور هنا دائماً ولم أرها. كنت مشغولاً بحياتي عن ذلك. لم يخطر لي يوماً أنها جزء مني بنفتالينها وغبارها وبخورها الغامض كذكرى رائحة).

يتأمل بقية الصور دون أن يمسح عنها غبارها، فأمه تترك الغبار يغطيها وتمسحه عن كل ما في الغرفة باستثناء الصور. . .

يحدق في صورة أمه أيام كانت شابة جميلة متوهجة بالحيوية تقف تحت جانح أبيه النحيل الرقيق بابتسامة كلها رضى. يرى صورة أخرى لها محاطة بشقيقاتها. يجمد فجأة كمن ضربته صاعقة (يا إلهي. هذه خالتي بدرية الواقفة إلى جانب أمي. إني أذكرها. إنها هي بالتأكيد. . .).

تتوقف نظراته عندها. يذكر أنها ماتت بالسرطان وهو بعدُ في الثامنة من عمره. قيل له إنها كانت تحبه كابنها الذي لم ترزق به لأنها لم تتزوج. لم تكن جميلة ولا بيضاء، وهو خطأ لا تغتفره الخاطبات بسهولة.

قلبه يقرع كطبل مجنون. يتأكد من حقيقة لا سبيل لإثباتها: المرأة التي زارتهم سائلة عن أمه هي خالته بدرية أو أنها تشبه كثيراً امرأة الصورة، خالته بدرية (بل وترتدي الثياب ذاتها كما في الصورة ولها المنديل المائل ذاته. أعني